العلاقات المكانية وأثرها في المنحوتات النُصبية (العواصم العربية أنموذجا)

أ.م.د علي عبدالله عبود الكناني – الباحث الأول
أ.م. د احمد جمعة زبون البهادلي - الباحث الثاني

ملخص البحث

يتناول البحث الحالي العلاقات المكانية كأداة لربط المعالم الحضرية في تكوين متجانس مع المنحوتات النصبية، من خلال تحديد هذه المعالم ومدى تأثيرها عليها، مما يشكل حاجة ملحة لتقييم المكان المناسب ومؤثراته عليها، لتكون هذه الدراسة التحليلية منهجاً نقدياً يُعتمد في الدراسات الفنية للمجسمات النصبية في العواصم العربية.

وقد جاء البحث الحالي في أربعة فصول، تطرق الفصل الأول منه إلى مشكلة البحث وأهميته والحاجة إليه، ثم أهدافه التي تحددت في الكشف عن العلاقات المكانية وأثرها في المنحوتات النصبية في العواصم العربية، ثم حدود البحث التي تحددت بالمنحوتات النصبية التي شكلت ظاهرة اجتماعية مميزة، والمقامة في الساحات والأماكن العامة في عدد من العواصم العربية، ومن ثم التطرق لتحديد ثبت المصطلحات.

أما الفصل الثاني(الإطار النظري) فتضمن مبحثين، الأول عن التنظيم المكاني ودوره الجمالي، والمبحث الثاني تضمن العلاقات الفضائية للمجسمات النصبية. فيما خصص الفصل الثالث لإجراءات البحث، حيث شمل مجتمع البحث المتكون من مجسمات نصبية لعدد من النحاتين العرب المعاصرين والمقامة في الساحات والأماكن العامة في فترات زمنية متباعدة لتغطية مساحة تاريخية مهمة من تاريخ النحت العربي الحديث، حيث اختيار نماذج عينة البحث ضمن شروط وضعت للاختيار القصدي، وما يتلائم مع أهداف البحث، وحدوده الموضوعية والمكانية، ثم تحليل نماذج العينة البالغ عددها(3) نماذج نحتية.

أما الفصل الرابع فقد خُصص لنتائج البحث التي توصل إليها الباحثان ومنها:

1. تباين المنحوتات النصبية من حيث استقراء علاقتها بالمكان فبعضها يعبر من خلال ما تحتويه من تكوينات ورموز نحتية، بأسلوب مباشر عن مواضيع مجتمعية أسطورية، لها صلة وثيقة بحضارة المدينة وارثها وبعضها يعبر عن علاقة مكانية تحمل صلات مباشرة مع حدث أو مناسبة.

2. احتوت المنحوتات النصبية على فكرة موحدة من خلال العلاقات المتجانسة بين الأشكال ضمن حيز مكاني واحد، لبناء علاقات مكانية مألوفة ومتكاملة حققت هدفا جماليا ووظيفيا.
3. تستخدم الخامات الطبيعية في عمل اغلب المنحوتات النصبية، لتكون جزءا من طبيعة المكان، فضلا عن الاعتماد على الإضاءة الطبيعية في إبراز سماتها الجمالية والتكوينية.

كما تضمن الفصل عدداً من التوصيات.

الفصل الأول: الإطار المنهجي للبحث

مشكلة البحث:

تؤسس العلاقات المتبادلة بين المكان والعمل الفني نوعا من الحضور الجمالي الذي لا يمكن تغافله، بل ويعكس كل منهما تاثيره الواضح على الآخر، فالمكان يؤثر على العمل الفني والعكس بالعكس، بل وتزداد حاجتنا لفهم هذه العلاقة فيما بينهما، وفهم آليات تنظيمها، ففي المكان مجموعة من العلاقات، وفي العمل الفني مجموعة آخرى تقابلها، والحضور الجمالي لكل منهما يكمن في البحث عن مديات للصلة بينهما، كما أن إدراك الإنسان للعلاقات المكانية بين الأشياء، ومحاولته السعي لتوحيدها ضمن إطار مفهوم مكاني تكون طبيعته محددة، بمثابة تجسيد لرغبته في التعبير عن وجوده وكيانه المعنوي، وفهمه لأهمية القيم والمفاهيم المكانية في تكوين المجالات الحيوية التي يمارسها في حياته اليومية، ويعبر في الوقت ذاته عن ربط التباين المكاني للمعالم الحضرية مع التباين المكاني للمجسم النحتي في وحدة كلية ثابتة ومتجانسة.

ان التطور الحضاري في المدن العربية الحديثة، وما يقدمه من تغيرات مستمرة في بناء التكوينات والأشكال المختلفة ضمن طبيعة المكان، يضع الفن التشكيلي العربي والنحت على وجه الخصوص وما يتضمنه من أشكال، بحاجة لتجسيد الصلة بينه وبين المقتربات المكانية بعلاقات هي غير بعيدة عن طبيعتهما معا، ونتيجة لانتشار العديد من المنحوتات النصبية في الساحات والأماكن العامة في العواصم والمدن العربية، وما يحيط هذه الساحات من معالم حضرية، بات من الضروري دراسة المكان وتحديد الصلة او الارتباط بينه وبين المنجز النحتي، ضمن الموضع الذي يوضع فيه لبلورة نواتج شكلية متكاملة وتحقيق عامل الانسجام والتناغم بينهما، ومن هنا يجد الباحثان ضرورة لتعقب العلاقات المكانية من خلال العمل وفق دراسة خاصة بهذا الشأن.

وبناءا عليه تتضح الحاجة الى دراسة تعتمد العلاقات المكانية كونها جزءا من العمل الفني ومكملة له في حالة من التبادل الجمالي، وتأسيسا على ذلك تبلور التساؤل في البحث الحالي، ماهو اثر العلاقات المكانية في المنحوتات النصبية العربية المعاصرة ؟

أهمية البحث والحاجة إليه:

تكمن أهمية البحث في دراسة الجانب الأكثر تأثيراً في المنحوتات النصبية، وهو العلاقات المكانية، مما يعطي ضرورة لرفد الجهات المختصة للافادة من هذه الدراسة، فضلا عما تتركه من اثر في تسهيل مهمة الباحثين وطلاب الفن والنحاتين وحتى المعماريين، كذلك الدوائر ذات العلاقة في هذا المجال الحيوي من الفن، فضلا عن كونها إضافة معرفية للدراسات بهذا الخصوص، والتي تعنى بالعلاقات المكانية وتأثيرها في المنحوتات النصبية مما يعزز حاجة المدن العربية لمثل هذه الدراسات.

أهداف البحث:

يهدف البحث الحالي إلى التعرف عن العلاقات المكانية وأثرها على المنحوتات النصبية في العواصم العربية.

حدود البحث:

الحدود الموضوعية: العلاقات المكانية للنتاجات النحتية المجسمة المقامة في الساحات والأماكن العامة.

الحدود الزمانية: يشمل البحث الحالي ثلاث فترات مختلفة لنحاتين عرب رواد بالتجربة، شكل كل منهم ظاهرة في عصره، من خلال انجاز المنحوتات النصبية المميزة والتي تشكل ظاهرة تستحق البحث والدراسة، وهم حسب التسلسل التاريخي(محمود مختار منجزه في عام 1927)،(محمد غني حكمت منجزه في عام 1975)،(احمد البحراني منجزه في عام 2015).

الحدود المكانية: العواصم العربية(القاهرة – بغداد – الدوحة) تماشيا مع ظهور المنحوتات النصبية في هذه العواصم.

تحديد المصطلحات:

العلاقة:

عرفت بأنها " صلة بين شيئين او ظاهرتين بحيث يستلزم تغير احدهما تغير الاخر. وقد تكون مجرد علاقة اتفاق او شبه او تبعية.. والعلاقات متعددة كالتلازم والتساوي وعدم التساوي والأقل والأكثر"(م 9: ص 122).

المكان:

المكان لغة " جمع أمكنة و أمَكُنْ وأماكن: الموضع"(م 10: ص771).

المكان اصطلاحا: هو" مجموعة الأشياء المتجانسة من الظواهر، الحالات، الوظائف أو الأشكال المتغيرة تقوم بينها علاقات شبيه بالعلاقات المكانية المألوفة "(م 7: ص69).

التعريف الإجرائي:

العلاقات المكانية: هي العلاقات التي تحدد الصلة او الارتباط بينها وبين المنجز النحتي ضمن الموضع الذي يوضع فيه ضمن نواتج شكلية وموضوعية متكاملة.

الأثر:

من التأثير: **" اثر فيه تأثيرا ترك فيه أثرا، فالأثر ينشا عن تأثير المؤثر"**(م 6: ص226).

التعريف الاجرائي للأثر: ما يترتب من نتاج(بتأثير المؤثر) على تكامل الشكل العام وفق رؤية بصرية منسجمة، ومدركة بصرياً من قبل المتلقي.

الفصل الثاني: الإطار النظري للبحث

المبحث الأول: التنظيم المكاني ودوره الجمالي

إن المنظومة الثقافية لأية مدينة هي التي تحدد التنظيم المكاني القائم فيها، وتأتي أهمية هذا التنظيم في كونه يشير إلى أهمية دور المدينة بوصفها علامة مكانية، وعادة ما يكون لمركز العاصمة أبعادها السياسية والاجتماعية والجغرافية، وهذه الأبعاد هي من ترسم طبيعة أمكنتها والدلالات المختلفة لها مكانيا وثقافيا، فضلا عن خصوصيتها التي تميزها عن غيرها من المدن حيث ان لكل مدينة شخصيتها وروحها المميزة لها عن غيرها، تبعا لتمييز عادات وتقاليد وحاجات ساكنيها ونشاطاتهم.(م 11:انترنت)

إن التنظيم المكاني هو بناء تركيبي لمفردات وعلاقات تصميمية بحتة تحددها حاجة المدينة ودورها الريادي وانفتاحها الاقتصادي وبالتالي يكون التركيب لمجموعة من المواضع، مؤثثة بمفردات او عناصر منوعة تمتلك قدرة الشد و الجذب سواء كانت متوافقة او متضادة ضمن حدود مكانية واحدة، محكومة بنمط من العلاقات البنائية تربط بعضها مع بعض، وتشكل المفردات أو العناصر وعلاقاتها في مواضعها نظاما ما، تتقبله عين المتلقي بإيقاع بصري يعد محفزا للوصول إلى نقطة الجذب في موضع ما لتلك المفردات أو العناصر، من دون التفريط بالفكرة الموحدة الأساس التي صيغ من اجلها ذلك التركيب.

تعد الأمكنة في العواصم العربية أحد العناصر الأساسية لتطبيق ما يعرف بالتوظيف الجمالي للبيئة وللمكان ذاته، فهنا ثمة محاولة للإيفاء بوجود متطلب جمالي، لاسيما وأن المكان صورة من صور العمل الفني التي تمثل الشكل العام الذي يحيط بكل العمل الفني وبالفعاليات الحيوية للمتلقي، فإرادة الإنسان والمستندة إلى معرفته ورغباته هي الدافع الكبير التي بها يكيف أنماط حياته لبيئة، كما يكيف بها بيئته لأنماط حياته، كما توجد رغبة جادة لمجموعة كبيرة من النحاتين والمعماريين والمصممين، للخروج بنتائج أفضل للعلاقة ما بين المكان والعمل الفني، والنتائج ترتبط بجمال شكل المدينة، وهو ما دعا الفنانين للتعاون مع الدوائر الحضرية لتطوير الشكل التقليدي للمدن، فالقوالب الثابتة للطرز العمرانية السائدة حاليا قد اندثرت، الامر الذي يدعونا كباحثين للنظر في العوامل المؤثرة لإخراج جماليات المكان من جديد، فالمتانة والجمال والمنفعة والموضوعات التي ترتبط بالمجتمع قضايا اساسية في تنفيذ النصب النحتية، والنحات والمعماري يراعي كل هذه المسائل، فهي عوامل متداخلة ومترابطة لاتنفصل إلا للتحليل أو الدراسة وتتطلب منهما التعامل معها كلها في نفس الوقت، وتحتاج منهما الى كل براعتهما وخبرتهما، وقد تنوعت هذه الأنماط وهذه المعالجات وتعددت بتعدد وتنوع أشكال النشاط المتحضر، إذ دأب على طول فترة صراعه الطويل مع البقاء إلى السعي لخلق بيئة صالحة لمعيشته، والتي يشكل المكان العنصر الأهم منها.

ويرد(لوتمان)، وكما ورد في تعريف المصطلحات بأن المكان هو " مجموعة من الأشياء المتجانسة من الظواهر أو الحالات أو الوظائف أو الأشكال المتغيرة وغيرها تقوم بينها علاقات شبيهة بالعلاقات المكانية المألوفة مثل الاتصال، المسافة، وإذا نظرنا إلى مجموعة الأشياء على أنها مكان يجب أن نجرد هذه الأشياء من جميع خصائصها، ماعدا تلك التي تحددها العلاقات ذات الطابع المكاني"(م 7: ص69).

حيث ان عملية توزيع المحددات المكانية المتعددة، تخلق حيزا مهما يمكن من خلاله تكوين المحاولات التنظيمية للمفردات الشكلية، التي تبلور سعى النحات للوصول إلى أفضل الصيغ لتحقيق هدفا وظيفيا، يتمثل بإيصال الرسالة الفنية، وفي ذات الوقت غرضا جماليا، يأخذ بالاعتبار التنظيم المناسب والمريح بصريا للمتلقي.

ويأتي اهتمام النحات بالعلاقات المكانية الكلية، التي تربط العمل النحتي مع محيطه، ضمن تكوين فضائي ينبع من إدراك العلاقات الحيوية في بيئته، إلى إدراك نظاما مكانيا مبني على التجانس والقبول. والذي من خلاله تتحدد العلاقات المكانية الترابطية فيما بين المجسم النحتي والفضاء المحيط به، والذي يكون هنا جزءا وعنصر تكاملي متلاصق في التكوين المكاني، ضمن مجموعة أشكال متناسقة او

منعزلة ضمن هذا الفضاء، كونه يحدد بنية نظام الشكل النحتي في وحدة واحدة ومتناسقة ذات تأثير مباشر في المتلقي، ضمن إيقاع وتنظيم عام للعلاقات المكانية، وبالتالي إظهار الوحدة الجمالية للمنجز النحتي كما في(شكل 1).

(شكل1) نصب الشهداء– مارينو مازكور 1960

فالتفاعل بين الإنسان والمكان المحيط به يُعد تفاعلاً دينامياً مستمراً، هذا التفاعل يتغير من مكان إلى آخر تبعاً لأنشطة الإنسان المختلفة، فالإنسان ومن خلال ارتباطه بما حوله، يؤكد قيمة تجربته الإنسانية زماناً ومكاناً في ضمن حركة الحياة العامة. " وترتبط الطبيعة الحسية والمادية للمكان وحجمه وحدوده وهويته بحاجات الإنسان، التي ترتبط مقاييسها وتكوينها وحدود مدياتها بتغير النضج الإدراكي والجسدي، والعقلي للإنسان وبتطور طبيعة علاقته وتفاعله بالمحيط الطبيعي والاجتماعي" (م 2: ص46).

المبحث الثاني: العلاقات الفضائية للمجسمات النصبية

ان الأمور الأساسية المرتبطة بالمكان هو الفضاء الذي يعد أحد العناصر التشكيلية المهمة، كونه الحيز الذي يحيط بالكتلة أو الشكل النحتي، وهو المحتوى للعناصر والأسس التنظيمية للمنحوتة،" **ولا يمكن إدراك الشكل دون ذلك الحيز المتكون بداخله حيث مجال إدراك الأشكال وعملية إدراك الفضاء تتم من خلال عدة عناصر تجمع من اجل تكوين حيز يشد الناظر إليه ويصبح ناتجاً أساسيا في نجاح العمل الفني"** (م 7: ص40).

(شكل2) الام والطفل–هنري مور 1924

وتؤشر هذه العلاقات تماسات بين الفضاء والكتلة، حيث يصل إلى المتلقي ناتج تفاعل المجسم النصبي مع المكان وما يتولد من فضاء يحيط به، وكلاهما يتشاطران، الكتلة وتفاصيلها من جوانبها المختلفة **" وان هذا الشيء يخلق فضاء أيضا**

لما يتضمنه من علاقات فضائية فالدائرة مثلاً نصف أعلى ونصف أسفل ولها داخل وخارج، وهذه العلاقات كافية لخلق فضاء من نوع ما"(م 3: ص112).

(شكل3) المدينة المدمرة –اوسيب زادكين 1940

وتدخل بذلك الأبنية المحيطة والمجاورة (شكل 2) والتشجير(شكل 3) جميعها تؤخذ بنظر الاعتبار كعوامل قرب وجوار، أو عكسه بحساب حجومها وكتلتها وفضاءاتها ماذا تحجب وماذا تعيق. فضلا عن كونها ستشكل عند احتواء النصب جزءاً من الصورة المدركة عند المشاهد بما فيها من عناصر، كخطوط وسطوح وكتل وفضاءات وظلال **" فمعنى الصورة يتحدد عموماً بالعلاقات المكانية والزمانية التي تنسق بين العناصر المحسوسة المستمدة من الطبيعة مثل الأصوات والألوان والأشكال والأفكار"**(م 8: ص37).

فإذا كان الفضاء ملازماً للمجسم النصبي، فالمكان بالنسبة له مستقر ومستودع وموضع وجودها وكينونتها، فهو **" وسط غير محدد يشتمل على الأشياء وهو متصل ومتجانس لا تميز بين اجزائه، وذو ابعاد ثلاثة هي الطول والعرض والارتفاع ويمكن بناء اشكال متشابهة فيه " (م 10، ص191)**. ويعد جزء منه ومن الفضاء بالمعنى الأوسع، تحتله الكتلة النحتية بإشغالها حيز كموقع استقرار بين او على مواد أخرى، هي أوسع من حيث المساحة او القياسات او الفضاء فتلازم المنحوتة موقعها في هذا المكان او ذاك.

ولعل تطور الحياة وما صاحبها من تعقيد وانعدام الهدوء وكثرة الضجيج الذي نتج عن ذلك في المجتمع، قد أدى إلى إحداث أثر واضح في تصرفات الإنسان وسلوكياته. كما ان عملية التوظيف الجمالي تعتمد على قدرة المنفذين ومهارتهم الإبداعية لضرورة توظيف هذا المكان أو ذاك. وبما يخدم الشكل العام والمتطلب الوظيفي لكل منهما، فضلا عن دور التلقي والتلقي التفاعلي حين يؤطر المكان بوصفه مكان جمالي، وهنا تأتى عملية التوظيف الجمالي عن طريق الفهم وإدراك أن الشيء قد اتخذ الشكل الذي هو عليه لكي يؤدي وظائف خاصة وينفع في خدمة أغراض خاصة الذي يُعدَ بالضرورة المحرك الأساسي والدافع الذي يقف وراء المبادرات المستمرة لتغيير الشكل العام للمدينة وللبيئة الطبيعية التي تحيط بنا، ففي محاولاتهم

تحطيم قيود التقاليد والبدء من جديد، كانوا قد اتخذوا مما هو أولي وبدائي مثلا عليا ، وذلك على حساب ما هو متنوع ومتطور .

إن ما أفرزته التجربة الصناعية والتداخل فيما بينها وبين الاعمال النحتية قد يسرت من توظيف الخامات الجديدة، وأليات المعالجة المستحدثة كتقنية غير مألوفة سابقا فقد كان لظهور المواد الجديدة والأفكار الجديدة في توظيف هذه المواد دور في ظهور فكر جمالي جديد يمثل الحركة الحديثة التي وظفت خزين التراث الثقافي والحضاري للعصور الماضية، فالمواد والخامات جديدة الاستخدام في النصب النحتية كالزجاج والحديد وطرق تشكيلها، أحدثت تشكيلات عمرانية حديثة ومعاصرة، فقد تطلبت قدرة عالية على فهم طبيعة هذه المواد ومعرفة آلية تشكيلها وتوظيفها لتلبي الغرض المرجو من وجودها، إذ يبدو أن التشكيل والتوظيف جمالياً هو محاولة جعل المادة الخام تتضمن ملائمة تامة لغرض ما. وعليه فإن اكتشاف علاقات الفضاء من خلال مشاهدة المجسم النصبي، بنقلات في النظر تجول هذا السطح او ذاك في المكان، ضمن مشهد متكامل يتم من خلاله إدراك الصورة ككل(شكل 4) حيث تنتقل صور نقاط السطح المرئي جميعها وبواسطة الأشعة الضوئية المنعكسة عنه، عبر شبكية العين الى مركز تفسير الرؤية، لتتكون صورة طبق الأصل لنقاط ذلك السطح جميعها **" وهكذا تصبح كل نقطة مرئية، نقطة في مجال ما وتتجمع حولها إشعاعات يحسها الرائي- لخطوط من الحركة الممكنة حولها. وهذا هو مصدر تصورنا المكاني للمرئيات فجمهرة الانطباعات الشبكية توزع على نحو يمثل لنا ما نقصده بكلمة سطح"**(م 5: ص113).

ومن هنا نلاحظ تداخل العلاقات بين المجسم النحتي وفضائه وما لهذا من اثر عند المتلقي، **" وهو ما يجب على النحات ان يفعله بان يكافح باستمرار للتفكير بالشكل واستخداماته وهو في تكامله المكاني التام، فهو يتصور في ذهنه شكلاً حركياً من كل جوانبه الدائرية، انه يعرف حيث ينظر إلى احد الجهات الحالة التي تبدو عليها الجهة الاخرى، وعليه ان يوجد نفسه مع مركز الجاذبية فيه ومع كتلته ووزنه، انه يدرك حجمه على انه الحيز الذي ياخذ الشكل مكانه في الهواء"**(م 4: ص187). فثبات المتلقي او عدمه إزاء المجسم النحتي المستقر بموضوعيته ومضمونه، والمحتل لموقعه ومكانه يؤشر ثبات هذا الاستقلال لذاته للعمل النحتي حيث تبقى قائمة لان لها مضموناً موضوعياً، محدد الحدود، مستكفياً بذاته(م 13: ص24).

ذلك إن المكان والذي هو جزء من البيئة المحيطة بالتمثال والمحتضنة له ويؤثر ويتأثر به وان الجانبان المكان والتمثال يحملان مقداراً من التأثير المتبادل حيث

يجب أن لا يكون أحاديا أو مخالفاً لمعطيات الجانب الآخر من الجذب والاستقطاب والانتباه للمتلقي" **فالشكل النحتي على صلة وثيقة بمحيطه. فمن المستحيل صنع تمثال.. دون إن يؤخذ بنظر الاعتبار الموضع الذي يفترض بالأثر ان يشغله.. ولا يجوز تصميم العمل الفني إلا من خلال صلاته المستقبلية مع محيط خارجي محدد. ومع تنظيمه وشكله المكاني** "(م 13: ص 6). حيث تدرك كمجموعة معاً فلابد أن يظهر هذا الكل منسجماً، وإمكانية حل التناقضات من خلال عملية التنظيم للوصول إلى نتائج من شانها تعزيز البنية المتكونة من منظومات ذات علاقات متناسبة لتشكيل متكامل.

إن علاقة الإنسان ببيئته التي يعيش فيها، تجسد في أبسط صورها نموذجاً فريداً للانتماء إلى الطبيعة المألوفة لدينا، فالعلاقات المكانية والفضائية للمجسمات النصبية هي ضمن حاجة الإنسان اليومية لان يتمتع بصريا بانسجام وتكامل يضفي للشعور ببعض مظاهر العاصمة الهادئة أو الثائرة، الباردة أو الدافئة، لذلك يمكن أن نعد هذه العلاقة مفهوماً وجوهراً للفن، فضلا عن كونها تعبيراً عن العلاقات البشرية مع المكان وعلاقاتهم بعضهم ببعض في المكان الذي يصبح عندئذ جزءاً من تلك العلاقة.

مؤشرات الإطار النظري

أهم المؤشرات التي أسفر عنها الإطار النظري تتلخص بما يلي:

1. اعتماد العلاقات التكوينية المحددة للمجسم النحتي يأتي من دراسة العناصر النحتية والمفردات الإنشائية المحيطة بها فضلا عن نمط العلاقات الشكلية فيما بينها ومقدار التداخل الشكلي المتحقق مكانيا.
2. تتجسد العلاقات المكانية بين أبعاد المجسم النحتي وما يحيطه من مقتربات مكانية من وتكون هذه العلاقات ضمن التكوين الفني وتشكل تناغماً فيما بينها بحيث تؤشر هذه العلاقات تماسات بين الفضاء والكتلة ناتج من تفاعل المجسم النصبي مع المكان وما يقدمه للمتلقي من نسق متكامل.
3. التنظيم المكاني للمجسم النحتي يتحدد من خلال المنظومة الثقافية الخاصة لكل مدينة ويعتمد بالأساس على البناء التركيبي لمجموعة من المواضع المتوافقة ضمن حدود مكانية واحدة محكومة بنمط من العلاقات البنائية تربط بعضها مع بعض.
4. يكون التنظيم محفزا لعين المتلقي للوصول إلى نقطة الجذب دون التفريط بالفكرة الموحدة حيث يعتمد على العلاقات المتجانسة بين الأشكال المختلفة ضمن حيز مكاني واحد لبناء علاقات مكانية مألوفة ومتكاملة لتحقيق هدفا جماليا ووظيفيا.

5. يعتبر الفضاء أهم العناصر في العلاقات المكانية الترابطية وعنصر تكاملي في التكوين المكاني.
6. إن ناتج تفاعل المجسم النصبي مع المكان وما يتولد من فضاء يحيط به، هو ما يصل إلى المتلقي ضمن إطار مفهوم مكاني.
7. تتحقق العلاقات الفضائية من خلال اكتشاف العلاقات المكانية ضمن مشهد متكامل حيث ان المكان جزء من البيئة المحيطة بالتمثال والمحتضنة له ويؤثر ويتأثر به وان الجانبان المكان والتمثال يحملان مقداراً من التأثير المتبادل للمتلقي.
8. يكون تصميم العمل النحتي من خلال صلاته المستقبلية بمحيطه وتنظيمه وشكله المكاني.

الفصل الثالث: الإطار الإجرائي للبحث

مجتمع البحث:

يتكون مجتمع البحث من أعمال النحاتين العرب الرواد والمعاصرين الذين لديهم منحوتات نصبية، مقامة في الساحات والأماكن العامة في عدد من العواصم العربية، وبحسب اطلاع الباحثان على المصادر العربية تم حصر مجتمع البحث في أعمال النحاتين الذين لديهم بصمة نحتية متميزة ولهم اثر في حركة النحت العربي المعاصر من خلال منجزاتهم في الأماكن والساحات العامة اذ بلغ عددها(10) مجسمات نصبية.

عينة البحث:

اختار الباحثان(3) نماذج مختلفة من المنحوتات النصبية، مثلت نماذج لعينة يمكن إن تمثل مجتمع البحث وبطريقة الاختيار القصدي على وفق شروط وضعها الباحثان:

1. منحوتات نصبية لنحاتين لديهم بصمة واضحة في المشهد التشكيلي العربي.
2. منحوتات نصبية تعد ظاهرة تعكس المعلم الحضاري والتاريخي للمدينة أو ارتبطت بحدث أو تاريخ او مناسبة معينة.
3. منحوتات نصبية تتناسب مع موضوعة البحث وأهدافه.

أداة البحث:

من اجل تحقيق أهداف البحث والكشف عن العلاقات المكانية اعتمد الباحثان المؤشرات المعرفية التي انتهى إليها الإطار النظري، بوصفها أداة للبحث، تسهم في إغناء التحليل فضلا عن أداة الملاحظة.

منهج البحث:

اعتمد الباحثان المنهج الوصفي التحليلي، في تحليل نماذج عينة البحث، تماشيا مع هدف البحث من خلال وصف عام للمنحوتات النصبية وتحديد المنطلقات المعرفية و الجمالية العامة للعينة.

نماذج العينة

أنموذج رقم(1)

اسم العمل: نهضة مصر
سنة الانجاز: 1927
اسم النحات: محمود مختار
مكان العمل: القاهرة - مصر
خامة العمل: حجر الكرانيت

مجسم نصبي من حجر الكرانيت الوردي يمثل امرأة بزي الفلاحة المصرية واقفة بارتفاع 7 متر تضع أصابع يدها على رأس منحوتة نصبية تمثل أبو الهول بطول 8 متر واليد الأخرى ترفع الحجاب عن عينها بينما التمثال الرابض يحاول النهوض بدلالة حركة القدمين الاماميتين.

يقع هذا العمل وسط ميدان جامعة القاهرة في الجهة المقابلة للمدخل الرئيسي للجامعة والذي سمي(ميدان النهضة) حيث ثبت في هذا المكان عام 1955 بعد مرور28 سنة على وضعه ميدان باب الحديد(رمسيس حاليا) في القاهرة. وجاء ذلك للتأكيد على دلالات المنجز التعبيرية التي يريد النحات ايصالها للمتلقي، مما يعطي بعدا تداوليا ثقافيا اوسع واغنى. وتعد هذه المنحوتة النصبية من الرموز السياسية لمصر الحديثة وله دلالات خاصة فى الإشارة للأحداث السياسية التى مرت بها مصر فى تلك الفترة الهامة حيث كانت مصر تطالب بالاستقلال.

يلاحظ من خلال هذه المنحوتة النصبية، ان العلاقات المكانية موحدة ضمن إطار مفهوم مكاني ذي طبيعة محددة تمثل تجسيداً حقيقياً لرغبة الإنسان في التعبير عن وجوده وكيانه المادي والمعنوي، ومن خلال توهج الأحداث السياسية تتوضح أهمية القيم والمفاهيم المكانية في تكوين المجالات ذات الطبيعة الثورية التي تشكل

متنفسا للجماهير للتعبير عن مكنونات الغضب وبالتالي يكون هذا العمل هو بمثابة التعبير الثوري الذي يتفاعل مع الفرد والمجتمع.

فمعنى هذا المجسم يتحدد من العلاقات المكانية والزمانية في آن والتي تنسق بين العناصر المحسوسة المستمدة من التاريخ والحضارة المصرية العريقة. فالتنظيم المكاني في هذه المنحوتة النصبية يتحدد من خلال المنظومة الثقافية الخاصة للبلد، ويعتمد بالأساس على البناء التركيبي لمواضيع متوافقة ضمن حدود مكانية واحدة، فضلا عن كونها محكومة بنمط من العلاقات البنائية التي تربط بعضها مع بعض رغم الفارق التاريخي. وبالتالي يكون لتكوين الشكل الهرمي ككل محفزا لعين المتلقي للوصول الى نقطة الجذب دون التفريط بالفكرة الموحدة من خلال العلاقات المتجانسة بين الأشكال المختلفة ضمن حيز مكاني واحد تحتويه قاعدة واحدة لبناء علاقات مكانية مألوفة ومتكاملة لدى المتلقي لتحقيق هدفا جماليا وثقافيا وتاريخيا.

أنموذج رقم(2)

1. اسم العمل: شهرزاد وشهريار
2. سنة الانجاز: 1975
3. اسم النحات: محمد غني حكمت
4. مكان العمل: العراق – بغداد
5. الخامة: البرونز + حجر

مجسم نصبي يصور ابرز شخصيات قصص الف ليلة وليلة(شهرزاد وشهريار)، تقع هذه المنحوتة النصبية في الحديقة العامة المطلة على نهر دجلة وتحديدا كورنيش شارع أبو نؤاس يبلغ ارتفاع تمثال شهرزاد 4 متر طول وتمثال شهريار ارتفاعه 3 متر. حيث يرتكز المجسمان فوق مدرجات حجرية بارتفاع 2 متر. يلاحظ من خلال هذا النصب الاختيار الموفق للمكان من حيث انسجامه مع الفضاء المحيط به، واعتماد العلاقات المكانية المحددة للمنحوتة النصبية وذلك من خلال دراسة العناصر المحيطة به فضلا عن الاهتمام بنمط العلاقات الشكلية فيما بينها ومقدار هذا التداخل الشكلي المتحقق مكانيا. حيث يمكن للمتلقي اكتشاف العلاقات المكانية من خلال مشاهدة أجزاء المجسم النصبي بنقلات في النظر تجول حول هذا

السطح منسجما مع الفضاءات المتكون ضمن مشهد درامي متكامل يتم من خلاله إدراك الصورة ككل حيث يكون المتلقي جزءا من العمل ومكملا له.

وتدخل المناطق الخضراء والأشجار جميعها كعوامل قرب وجوار للمجسم، مع انسجام حجومها وكتلتها وفضاءاتها دون أن تحجب أو تعيق نظر المتلقي واستمتاعه بالمشهد. فضلا عن كونها تشكل مع النصب جزءاً من الصورة المدركة عند المشاهد بما فيها من عناصر وكتل محاكاتا لأصل الحكاية التي رويت في ذات البيئة.

فضلا عن **موقعه** قريبا من الشارع الرئيسي لمرور العجلات اذا يشكل تلقي العمل من داخل المركبات مفصلا اساسيا في منظومة التلقي لما فيه من تكامل وحضور في ذهنية المجتمع لاعتماد النحات على حكاية تمثل الموروث الشعبي للمكان وتختزل الكثير من حكايا الف ليلة وليلة فيه.

فمثل هذا **العمل** الفني الذي يعكس خصب المخيلة البغدادية القديمة ذات البلاغة العالية فانه في ذات الوقت يعكس حضور هذه الثقافة في بغداد المعاصرة فهو ليس مجرد نصبا نحتيا وانما محطة ثقافية وفكرية لطالما اقيمت جواره الكثير الانشطة الثقافية والفنية.

أنموذج 3

اسم العمل: التحدي
سنة الانجاز:2015
اسم النحات: احمد البحراني
مكان العمل: الدوحة – قطر
خامة العمل: البرونز

يقع هذا المجسم النصبي المنجز من مادة البرونز في مدخل قاعة(روسيل الرياضية) في الدوحة – دولة قطر، وهي قاعة رياضية متعددة الأغراض أقيمت عليها بطولة العالم الرابعة والعشرين لكرة اليد في العام 2015، حيث أطلق على هذا العمل اسم(نصب التحدي) وهو عبارة عن سلسلة من المنحوتات النحتية البرونزية تصور خمسة أيادي تمتد نحو السماء ضمن فضاء مفتوح وبارتفاعات مختلفة، إحدى هذه الأيادي تمسك(كرة يد) بمواجهة الأيادي الأربعة المفتوحة باتجاه الكرة.

إن التنظيم المكاني يتوضح هنا من خلال البناء التركيبي لمفردات ذات علاقات تصميمية بوحدة الموضوع وبتكرارية متعمدة وفق متطلبات الحالة تحددها حاجة هذه القاعة ودورها في احتضان البطولة فضلا عن انفتاح المدينة الاقتصادي لبلورة مواضيع تشجع الجمهور على الحضور والتفاعل مع هذه النصب التي تتحرك بصريا بوجود المتلقي ضمن فضائها.

وبالتالي يكون هذا التركيب يحوي عناصر تمتلك قدرة الشد و الجذب ضمن حدود مكانية واحدة، محكومة بنمط من العلاقات البنائية المترابطة بعضها مع بعض، لذلك وضع النحات هذا النصب النحتي مباشرة على الارض ليوحي الى فكرة التداول التفاعلي من جهة وفكرة التحدي من جهة اخرى فالايادي التي تخرج من باطن الارض كأنها تحاول اثبات وجودها في مثل هذه البطولة العالمية.

ويلاحظ ان هذه المفردات أو العناصر وعلاقاتها في مواضعها يتشكل منها نظاما ما، تتقبله عين المتلقي بإيقاع بصري يعد محفزا للوصول إلى نقطة الجذب في موضع ما لتلك المفردات أو العناصر، من دون التفريط بالفكرة الموحدة الأساس التي صيغ من اجلها ذلك التركيب وهي جانب التحدي في كرة اليد.

ويلاحظ ان الأبنية المجاورة تدخل كعناصر مكملة لفكرة العمل وكعوامل قرب وجوار، ضمن حجومها وكتلتها وفضاءاتها. فضلا عن كونها تشكل عند احتوائها هذا المجسم النصبي جزءاً من الصورة المدركة عند المشاهد بما فيها من عناصر.

وقد تصدرت مدينة الدوحة المشهد الثقافي والرياضي من بين عدد من العواصم العربية من حيث تطبيقها للمعايير الدولية للبنى التحتية في بناء المدن الرياضية والملاعب النموذجية وتسخير الموارد المالية والبشرية لصالح الخطاب الثقافي والرياضي مقرونا بالجانب العمراني الجمالي المعاصر والتي اثمرت مؤخرا لاحتضان بطولة كأس العالم لكرة القدم 2022.

النتائج والاستنتاجات

بعد تحليل ومناقشة نماذج عينة البحث تمكن الباحثان التوصل الى مجموعة من النتائج وكما يلي:

1. تباين المنحوتات النصبية من حيث استقراء علاقتها بالمكان فبعضها يعبر من خلال ما تحتويه من تكوينات ورموز نحتية، بأسلوب مباشر عن مواضيع مجتمعية أسطورية، لها صلة وثيقة بحضارة المدينة كما في النموذج رقم(1) وأحيانا لها ارثها ومرجعها التاريخي الأصيل كما في الأنموذج رقم(2) وبعضها يتعلق بحدث معين كما في الأنموذج رقم(3)، مما يعني ان التنظيم المكاني يكون محفزا بشكل مباشر لعين المتلقي للوصول الى نقطة الجذب والإثارة والتفاعل أحيانا.
3. احتوت المنحوتات النصبية على فكرة موحدة كما في النماذج(1، 2،3) من خلال العلاقات المتجانسة بين الأشكال ضمن حيز مكاني واحد، لبناء علاقات مكانية مألوفة ومتكاملة حققت هدفا جماليا ووظيفيا وهذا مايميز النصب النحتية قيد البحث.
4. تستخدم الخامات الطبيعية في عمل المنحوتات النصبية لتكون جزءا من طبيعة المكان فضلا عن الاعتماد على الإضاءة الطبيعية في إبراز سماتها التكوينية.
5. المنحوتات النصبية التي تنجز بنوع من الفخامة والأحجام الكبيرة هي عادة ما تكون مهيمنة على المكان، وتتناسب مع المحيط بشكل متبادل، وهذا يتوضح في جميع نماذج العينة. حيث تتحقق العلاقات المكانية ضمن مشهد متكامل يكون المكان جزء من البيئة المحيطة بالتمثال والمحتضنة له يؤثر ويتأثر بها بحيث يكون الجانبان المكان والمنحوتة النصبية يحملان مقداراً من التأثير المتبادل للمتلقي وهو ما يتوضح في جميع نماذج العينة.
6. تتناغم المنحوتات النصبية مع ما يحيطها من مقتربات مكانية ضمن التكوين الفني العام للمكان حيث تتحدد العلاقات المكانية بين أبعاد المجسم النصبي وما يحيطه بحيث تؤشر هذه العلاقات تماسات مباشرة بين الفضاء والكتلة ناتج من تفاعل المجسم النصبي مع المكان وما يقدمه للمتلقي من نسق متكامل.

التوصيات

يوصي الباحثان بما يلي:

1. ضرورة دراسة العلاقات المكانية للمنحوتات النصبية قبل الشروع بالانجاز من خلال لجنة مشتركة متخصصة.
2. دراسة الأماكن الحالية للعديد من المنحوتات النصبية في عدد من العواصم العربية وإعادة النظر في تنظيمها المكاني وتأهيلها وفق تنظيم جمالي متجانس.
3. اعتماد نماذج المصغرات(الماكيت) في دراسة العلاقات المكانية للمجسمات النصبية.

ثبت المصادر

1. توفيق، محمد سعيد. ميتافيزيقيا الفن عند شوبنهاور. دار التنوير، بيروت، 1983.2.
2. الخفاجي ، مكي عمران: جماليات المكان في الرسم العراقي المعاصر، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة بغداد، كلية الفنون الجميلة،1999.
3. رسل، برتراند. الفلسفة بنظرة علمية. تلخيص وتقديم د. زكي نجيب محمود. القاهرة، 1960.
4. روجرز ، فرانكلين. الشعر والرسم. ترجمة: مي مظفر. دار المأمون للترجمة والنشر، بغداد، 1990.
5. سانتيانا، جورج. الإحساس بالجمال، ترجمة: محمد مصطفى بدوي، دار الانجلو المصرية، القاهرة، 1966.
6. صليبا ، جميل. المعجم الفلسفي، ج1، ط1. دار الكتاب اللبناني – بيروت، 1971.
7. لوتمان ، يوري: جمالية المكان(مشكلة المكان الفني). ترجمة وتقديم: سيزا قاسم، الدار البيضاء، المغرب 1988.
8. مطر ، أميرة حلمي. مقدمة في علم الجمال. دار الثقافة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1976.
9. مجمع اللغة العربية. المعجم الفلسفي. الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية جمهورية مصر العربية، القاهرة، 1979.
10. المنجد في اللغة والإعلام. دار الشرق، بيروت، ط 23، 1973.
11. نضال محمد. الأساليب الفنية للرسامات العراقيات، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد، كلية الفنون الجميلة، الرسم، 1998.
12. هيغل . فن النحت. ترجمة: جورج طرابيشي. دار الطليعة، بيروت، 1980.

(ملحق 1) مجتمع البحث:

نصب صلاح الدين الأيوبي
للنحات عبد الله السيد – دمشق - سوريا

نصب الشهداء
للنحات جرجس سعيد – طرابلس - ليبيا

نهضة مصر
للنحات محمود مختار - القاهرة مصر

نصب شهداء بيروت
للنحات نحته النحات الإيطالي مارينو مازاكور بيروت – لبنان

تصب شهرزاد وشهريار
للنحات محمد غني حكمت – بغداد العراق

تمثال المزولة
– للنحات علي الجابري – مسقط - سلطنة عمان

نصب التحدي
– للنحات احمد البحراني -
الدوحة - قطر

نصب الشهيد
للنحاتين بشير يلس والخطاط سكندر عبد
الحميد والنحات البولوني ماريان كونشني -
الجزائر

نصب الأم المنتظرة
للنحات محمد غني
حكمت –
المنامة - البحرين

تمثال ابن خلدون
للنحات الراحل
زبير التركي -
تونس